الفصل الأول

الهنادكة في التاريخ

قليل من البلدان في العالم يختلط تاريخهم بجغرافية بلادهم كما هي حال شبه القارة الهندية إذ تحميها جبال هيمالايا من الشمال والبحر من الشرق والغرب لذا تبدو من النظرة الأولى أنها تعيش في عزلة رائعة ولا تتأثر بالحركات والمحركات التي تحدث في أنحاء العالم ولكن ما حدث فيها لا يمكن أن يحدث في أي مكان آخر. إذ أنه من خلال ثغرة في الزاوية الشمالية الغربية من جبال هيمالايا التي تبدو أنها لا تقهر دخل القارة ـ طوال عدة قرون ـ موجات متتالية من الغزاة الأجانب الذين كانوا خلال التاريخ قد جعلوها بلادهم وأسسوا فيها إمبراطوريات عظيمة ذات مجد، وتركوا في البلاد أثراً عميقاً لحضارتهم ومدنيتهم. كان الآريون أول الغزاة، أتوا نحو ١٧٠٠ قبل الميلاد وفي جميع الاحتمالات هناك غارات عديدة تمتد عبر عدة قرون. أما سكان البلاد الأصليون الذين واجهوا التهديد الآري القوي فهم الشعب الدراويري[1] الذي أقام حضارة عظيمة في وادي نهر السند كما تدل على ذلك الآثار التي اكتشفت في منجهودارو في السند وغربا في البنجاب. عاش الدراويريون في المدن والقرى وصنعوا زخارف جميلة ومرايا من البرونز ومجوهرات وآنية فخارية مطلية وكانوا يعرفون الهجائية والقراءة والكتابة.

وبما أن الشعب الدراويري كان ماهراً في فنون السلام أكثر منه في أمور الحرب فقد كان من الطبيعي ألاَّ يستطيع أن يصمد في وجه الهجوم الضاري الذي شنه الآريون الذين لا يعرفون مدنية من قبل وقد وصفت المعركة المفزعة

(١) الدراوريون هم أهل البلاد الأصليون والهنادكة دخلاء على البلاد.

في الكتب الهندوكية المقدسة (ريك ويد) على أنها حرب آلهة ضد شياطين خبيثة. ويظهر هذا الوصف الاحتقار التام الذي يعامل فيه الغزاة أصحاب البشرة البيضاء والقامة الطويلة ضحاياهم أصحاب القامة القصيرة، والمظهر القبيح، والبشرة الداكنة، وفي الحال طرد الدراويريون من منازلهم وأراضيهم واضطهدوا بوحشية قاسية.

هذا بالإضافة إلى أنه عهد إلى غير الآريين بالمكانة الأدنى في نظام الطبقات الاجتماعية الذي اخترعه البراهمة والذي اتفق وجوده مع توسيع وتعزيز النفوذ الآري وراء سهول نهر الغانج. كان المجتمع الآري ينقسم إلى ثلاث طبقات فقط: البراهمة، (الكهنة)، الكشتريون (الجنود) والويش (التجار، المزارعون، والحرفيون) وأضيفت الآن طبقة رابعة وهي الشودر وتشتمل هذه الطبقة على الدراوريين المغلوبين وكذلك الأشخاص الذين لا ينحدرون من أصل آري.

وصف أصل الطبقات الأربع بشكل مجازي في تراتيل الويد التي تقول: إنه عندما قدم (برش) الإنسان الأول ضحية انبعث من رأسه البرهمن ومن ذراعيه الكشترى ومن فخذيه الويش ومن قدميه الشودر.

من الواضح أن البرهمن يحتل مكانة عالية جداً في هذا النظام فهو يملك حسب شرع منو قدسية عظيمة وقد ولد باعتباره أعلى شخصية في الأرض وسيد جميع المخلوقات وكل ما يوجد في هذا العالم هو ملك للبرهمن بسبب امتياز أصله. وتؤخذ كلمته دائماً كحقيقة لا يرقى إليها الشك ولا يمكن أن يحكم عليه بالإعدام مهما بلغت عظمة الجريمة المنسوبة إليه، ويعتمد عليه حكام البلاد في حسن توجيههم والعطف عليهم وهو في الواقع يملي أوامره على الملوك ويحكم الجماهير.

. وفي الطرف المناقض تماماً لهذه الطبقة نجد الشودر فهو لا يستطيع امتلاك أية ثروة ولا يرتدي ذهباً ولا فضة ولا يطالب بأي أجر لقاء أي عمل يعمله فهو

منبوذ وقذر بسبب مولده وتعتبر قذارته صفة موروثة وأساسية عندهم وأن أي اتصال بالشودر ينجس الآري ويدفع به نحو الموت كعقاب له. وفي كتاب (ايتاريا براهمانا) ورد نص وصف فيه الشودر على أنه خادم للآخرين يطردونه أو يقتلونه إذا رغبوا في ذلك ويحرم شرع منو على (المولود ثانية)[1] أن يشارك الشودر حتى ولو كان ملكاً. يقول منو: اللعنة على البلاد التي يصنع فيها الشودر قانونها فهو منتن ورائحته مثل بقرة في خثيها. إنَّ القسوة في شرع منّو لا تعود فقط إلى مجتمع هندوكي قديم بل إنها في الواقع قد نمت بإزدياد مع مرور الزمن وبمقدار الدرجة التي أكد فيها البراهمة مكانتهم العالية وسلطتهم في الطبقات الأخرى.

إن الامتيازات والأفضليات التي يتمتع بها البراهمة في المجالات الدينية والدنيوية أكدت رفعتهم وسلطتهم وجعلتهم أشخاصاً مغرورين وظالمين وعنيدين، وأصبحوا أكثر الأشخاص رهبة في نظر الطبقات الأخرى وذلك لأنهم باستطاعتهم طرد أي شخص من وسط طائفته (وأقسى أنواع العقاب التي لا يتحملها الهندوكي هي عزله عن طائفته وطرده منها).

إن هذا الطرد الذي هو شكل من أشكال العزل الاجتماعي يلقي بالشخص التعس ميتاً إلى العالم ويتركه وحيداً دون أي شيء مشترك مع مجتمعه. وإليكم مقطعاً من كتاب (دوبوا):

إذا فقد المرء انتسابه إلى طائفته فإنه لا يفقد بذلك أقرباءه وأصدقاءه فقط بل يفقد أيضاً زوجته وأطفاله الذين يتركونه يواجه مصيره بدلاً من مشاركتهم إياه في بؤسه. وإذا كان لديه بنات في سن الزواج لا يتقدم أحد لخطبتهن وكذلك ترفض الفتيات قبول الزواج من أبنائه وعليه أن يسلم بالأمر ويدرك أنه أينما ذهب سيتجنبه الناس ويشيرون إليه باحتقار ويعاملونه على اعتبار أنه منبوذ.

---

(١) المولود ثانية يعني بعرف الهنادكة هو من كان من أحد الطبقات الثلاث العليا على اعتبار أنه لم يصل إلى طبقته التي هو فيها إلا بالتناسخ ومعنى ذلك أنه ولد ثانية.

ثورة من الداخل ونتيجتها:

إن ما في نظام الطبقات من قسوة وظلم يحمل في طياته جذور الثورة وأول من ثار ضد ظلم البراهمة هم الكشتريون إلا أنهم أبيدوا على بكرة أبيهم وأكد البراهمة بذلك سيادتهم من جديد بعنف شديد إلا أن استياءً شعبياً كان ينمو وسرعان ما أصبحت السلطة البرهمية السائدة في الأمور الروحية مثار بحث ونقاش. وأهملت المعتقدات القديمة وبدأ الناس يبحثون من جديد في أصل الإنسان ومصيره ونتج عن كل ذلك فلسفة دينية جديدة تتضمن أفكاراً وحقائق تختلف كلية عن روح البرهمية.

يعتبر نشوء البوذية والجينية في القرن السادس قبل الميلاد نقطة تحول في التاريخ الديني والفكري والاجتماعي في الهند القديمة. وقد أظهر أتباع الديانتين الجديدتين ارتباطاً ضعيفاً بتعاليم البرهمية وأنكروا كامل السيطرة الكهنوتية على الأمور الدينية. وقامت هاتان الديانتان الجديدتان بتوجيه الحياة الدينية في طرق مجهولة حتى اليوم ومنحت الفلسفة الهندية مفهوماً فكرياً وتفسيراً جديداً في عقيدة (الكرن)[1] وتناسخ الأرواح خلافاً للعقيدة البرهمية التي كانت محجوبة بغطاء سنسكريتي تقليدي غامض. تلقى الناس التبشير بالعقيدة الجديدة بلغتهم العامية وهي (بالي) و(باراكريت)[2] وقد رافق هذا العمل أخوة بين الناس زادت في شعبية الدينين.

وهكذا تعرض العالم الهندوكي فعلياً إلى هجوم عاصف ووجهت الديانتان الجديدتان ضربة قاصمة للفروق الطبقية ولسلطة البراهمة ورفعت أصحاب الطبقات إلى درجة واحدة وفتحت أمامهم عهداً جديداً من الاعتراف الاجتماعي والحرية الروحية واستطاعت المعتقدات الجديدة أن ترضي الحاجات الروحية للناس إذ قدمت لهم القوانين الدينية التي تنطبق على الجميع وهي سهلة الفهم وخالية من الطقوس المعقدة.

---

(١) كرن معناها العمل.

(٢) لغتان هنديتان عاميتان.

إن تطور المعتقدات الدينية الشعبية دعم قوة البلاد دعماً قوياً وبعد أن كانت مقسمة إلى ١١٨ ولاية قبلية مختلفة عشية ظهور البوذية اتفق الشودر والكشتريون الـذين يكـرهـون بشكل خاص السيادة البرهمية وشكلوا في القرن الرابع قبل الميلاد تحالفاً ضد البرهمية تحت لواء أحد أباطرة (نندا) الذي سرعان ما اعتنق البرهمية إلا أنه عندما تولى السلطة اعتنق الديانة البوذية سراً وقيل أنه استمر في العلن يقـوم بواجبـاتـه إلى آلهـة الآريين واعتمد كلية على مستشاره البرهمي تشـانـاكيا الذي يدعى أيضاً كاوتليا ويطلق عليه غالباً اسم مكيافيللي الهند. وكذلك تلقى أعضاء الطوائف المنشقة تحت حكم تشاندرا[1] غوبتا اهتماماً كبيراً من الحكومة على اعتبارهم ممثلو الله في الأرض. ويكتب راس[2] دافيد؛ على الرغم من صداقته لتشاناكيا البرهمـي بأنه ينتسب إلى سلالة موريا الحاكمة وهو في الواقع كان يشعر بالصغار لأنه وجد هذه السلالة المكروهة والتي دانت لها البوذية فيما بعد بالشيء الكثير.

لقد أثبت حفيده آشوكا عظمة كبيرة في تفكيره وأعماله فبعد الحرب على كالينغـا تحول إلى رسول للسلام والفضيلة وتخلى عن فكرة فتح البلاد وتبنى سياسة الفتح الروحاني وقد تأثر الفكر الهندوكي تأثراً عميقاً بالأفكار الجديدة للعقائد غير البرهمية.

في القـرون التي تلت البـوذية، لاقت البوذية التأييد من كانيشكا وهارشا ولكنها انهارت فيما بعد هي والجينية واقتلعتا من أرض ولادتهما بسبب ما لاقتاه من اضـطهاد وامتصاص. ويتحدث الكاتب هنتر عن أساطير الاضطهاد التي حرض عليهـا البرهميون أمثال كوماريلا باتا وسانكارا اتشارجيا وذكر في مجلة (ويلكنز) ما يلي قال: تلقى أتباع بوذا الاضطهاد الوحشي من قتل أو نفي ومن النادر إيجاد قضية مسجلة حدث فيها اضطهاد ديني بهذا الشكل مثلما حدث للبوذية في الهند.

---

(١) CHANDRAGUPTA

(٢) RHYSDAVIDS

مع ظهـور إمبراطورية غوبتا في بداية القرن الرابع بعد الميلاد أصبحت حوادث الاضـطهاد ضد البوذية والجينية أكثر حدة فهناك حوادث مسجلة عن معـاقبة المؤيدين للمعتقدات الشعبية وذلك بإلقائهم أحياء في مراجل مملوءة بالزيت المغلي. وورد في كتاب (دوبوا) قوله:

(قام الهنادكة بتدمير جميع معابد الجينيين وتحطيم مواد عبادتهم وتجريدهم من جميع الحريات الدينية والمدنية ومنعهم من الوظائف العامة ومراكز الثقة). وفي الواقع لقد اضطهدوهم بحدة لدرجة أنهم نجحوا تقريباً في إزالة جميع آثار هؤلاء الأعداء المرعبين في عدة مناطق وصلوا فيها من قبل إلى درجة عالية من الازدهار.

لقد رويت أساطير كثيرة عن هذا الاضطهاد منها تحول الملك باندیا ملك مادورا عن الـديانة الجينية إلى الهندوكية بعد أن انهزم هو وأتباعه من الكهنة الجينيين في منـاقشتهم مع البـرهمي تريوجانا شامباندرا وعندما رفض الكهنة الجينيون التخلي عن دينهم أعدم عدد كبير منهم.

قام الملك تشاتش الذي حكم بلاد السند خلال الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي بمعاقبة رعيته من البوذيين بإصدار قانون يمنعهم من لبس النعال أو استعمال غطاء الرأس ولبس الملابس الرقيقة وركوب الخيل. ويستطيع المرء أن يدرك قسوة هذا العقاب إذا كانت لديه خبرة بالحر اللاذع في الصحارى الرملية في بلاد السند وقد حرم على البوذيين أيضاً ممارسة التجارات المحترمة وأجبروا على القيام بالمهام الذليلة مثل التحطيب والحياكة والسقاية. وقد تلقى أتباع المهـاجينية[1] البوذية في البنغال معاملة مماثلة عندما ازدهرت الهندوكية ثانية هناك بفضل الحكام الهنادكة من سلالة سينا في القرن الحادي عشر. وبسبب ضعف البـوذيين والاضـطهـاد الـذين خضعوا له طويلاً اضطروا إلى الترحيب بالمسلمين باعتبـارهم محررين إياهم ومنتقمين لهم على الإهانة التي تلقوها على أيدي البـرهميين. ونورد فيما يلي مثالين على تعاون البوذيين مع الغزاة

(١) فريق من البوذيين يقول بوجود الله.

المسملين: أتى كاهن بوذي إلى محمد بن القاسم وأخبره أن يستهدف راية وبرج المعبد في ديبل وقام شيخ قبيلة بوذي بتقديم السفن إلى محمد بن القاسم ليسهل عبوره في نهر السند.

والسلاح الآخر الذي استخدمه الهنادكة ضد البوذية والجينية هو الامتصاص عن طريق التغلغل المسالم والتأكد التدريجي لتعاليمهم ومعاملاتهم.

كان ظهور الإسلام في القرن الثامن تحدياً جديداً للهندوكية. واستطاع هذا الدين الجديد بتعاليمه الإنسانية التي تدعو إلى المساواة والإخاء أن يجتذب عدداً كبيراً من المؤمنين به من بين صفوف الهنادكة. وفي نهاية القرن الثالث عشر عندما عززت سلطنة دلهي مكانتها وأدركت الهندوكية الخطر العظيم الذي رافق ظهور الإسلام وجدت أنه من الضروري اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية نفسها. وكان هذا أمراً طبيعياً ولكن ما يلفت الانتباه هو أسلوبها المميز في حماية نفسها فقد قامت الهندوكية بحماية نفسها عبر التاريخ بطرق منها أولاً: التأليف بين المذاهب المشوشة على الرغم من الطبيعة المختلفة لهذه المذاهب، وليس ذلك ضمن فلسفتها الجوهرية بل في اعتقادات فئة من الموالين لها. ثانياً: محاولة امتصاص الجماعات الوافدة على شبه القارة عن طريق الهجرة أو الناشئة تلقائياً في وسطها وقد سبق وأشرنا إلى ظهور حركة بهكتي في القرن الرابع عشر تلك الحركة التي تهدف إلى تمهيد الطريق من أجل استيعاب الإسلام بوساطة الهندوكية، لذا كرست نفسها من أجل جعل الهندوكية ديناً مستساغاً للمسلمين. ولتحقيق هذا الهدف قبلت الهندوكية بعض القيم الإسلامية ليس بين أمورها الجوهرية ولكن بين معتقدات بعض الفئات الهندوكية. وهكذا كانت الهندوكية تؤكد من خلال حركة بهكتي اتجاهها المصطنع وقدرتها الاسيتعابية.

تقول الهندوكية للإسلام: (لقد أتيت بفلسفة فيها إغراء كبير لكثير من الموالين لي وأنا لا أستطيع الانتصار عليك في هذه المعركة بوقوفي في طريقهم لذا قبلت بالكثير مما تدعو إليه، بالطبع إني لا أستطيع أن أزعج نفسي لكي

أسرك وأنا أملك عدداً كبيراً جداً من المناصرين الذين يمنعهم ولاؤهم العميق لي بالتأثر بأي شيء تقدمه أو أي انتقاد تعتبره فعالاً ولكن يجب أن أنقذ أكبر قدر ممكن من أولئك الذين افتتنوا بطريقة تفكيرك وذلك أن أقدم إليهم في طياتي ما ستقدمه أنت إليهم).

يعتبر رامانوجا حوالي القرن الحادي عشر النصير الأول لهذا الاتجاه الذكي، فقد تتبع في بداية ديانته منذ ظهور جماعة الاوبنشد وبغوان جـ وأيد عبادة وشنو ودعا إلى المحبة والوفاق في شكل واضح أما رامانندا الذي خلفه فقد حطم جميع الحواجز الطبقية وسمح للناس من جميع الطبقات بالدخول بحرية في جماعته. فقد شعر أن هذه هي الضرورة الملحة في المجتمع الهندوكي. واتبع طريقته هذه (كبير)[1] الذي توفي عام ١٤٩٠ والذي بقي مرتبطاً به أكثر من ثلاث سنوات وكذلك قلده مالابهاي[2] اتشاريا وهو برهمي من (تيلنغانا)[3] الذي عمل في مدن (موترا) و(بندرابان) و(بنارس)، ثم أتى (شايتانيا) عام ١٤٥٨-١٥٣٣، وسار على خطاه وهو برهمي آخر دعا إلى الرسالة نفسها في البنغال وأوريسه وكذلك تبنت مدرسة كارتابهاجاس[4] وهي فرع من مدرسة (شايتانيا) بعض الأفكار الإسلامية والممارسات العملية.

كانت الفكرة إغراء المسلمين لمشاركة إخوانهم تحت رئاسة غير إسلامية في حين كان من الصعب تكليف الاهتداءات الفردية إلا أن امتصاص فئة كاملة كان أمراً سهلاً للغاية لأن الهنادكة هم أنفسهم مجموعة تتألف من عدد كبير من الفئات والأفخاذ تمثلها الطبقات وما تحت الطبقات. يقول التاريخ أن كل فريق من الغرباء بدأ حياته باعتباره وجوداً مستقلاً ولكن بمرور الزمن امتص الأفكار الأساسية للهندوكية وأصبح لا يتميز عن الآخرين، ونتيجة التزامل الطويل

---

(١) أحد الذين أرادوا أن يوحدوا بين الديانتين.

(٢) VALLABHAI ACHARYA

(٣) TELINOGANA

(٤) KARTABHAJAS

حصلت الهندوكية على ولائه وبدا أن ارتباط المسلمين بأخوة الهنادكة هو الخطوة في ذاك الإتجاه.

لم تكن مهمة حركة بهكتي تنحصر فقط في إيقاف النمو العددي لجماعة المسلمين في شبه القارة بل كان لها الأثر أيضاً في إدخال انحلال كبير في المعاملات الدينية عند المسلمين وبالنتيجة توصل الناس إلى تعليق أهمية كبيرة على القيم الروحية للدين على حساب جوانبه الشعائرية الظاهرة التي قوبلت بالاستخفاف. كذلك فإن إضعاف الوفاق الخارجي أدى بدوره إلى إهمال الإحساس المشترك وأتت النتيجة الأخيرة بهذا كله لتفيد بأن قلب الدين الإسلامي نفسه أخذ يزداد ضعفاً.

وبسبب التحرر في أفق التفكير عند قديسي بهكتي استطاعوا اجتذاب العديد من المسلمين إلى جماعتهم ولو إستمر هذا الإتجاه لكان له الأثر الكامل في إمتصاصهم التدريجي داخل الهندوكية. هذا ما حصل للعديد من الفئات الأجنبية التي اتصلت بالهندوكية فقد إتبعت تلك الفئات طريقة اجتماعية في الحياة تختلف تماماً عن طريقتهم الخاصة، وبمرور الزمن اعتنقوا الأفكار الأساسية للهندوكية وأخيراً عندما تأكدت قيمتهم بشكل كامل عملت الهندوكية على إمتصاصهم. وبعد أن اتحد المسلمون مع إخوانهم الهنادكة حول أول خطوة في هذا الاتجاه وتأثروا بحركة بهكتي كانت الخطوة الثانية فكرة (شمولية الأديان) في شكل فج فإذا كانت جميع الطرق تؤدي إلى القمة نفسها وإلى الحقيقة ذاتها فلا يهم إذن أن يتخذ المرء الطريق الإسلامي أو الهندوكي. ويبدو التحول في مثل هذا الوضع من دين إلى دين ليس له معنى ما دام الهدف الأساسي للهندوكية وللإسلام هو واحد. في النتيجة ليس هناك ما يدعو المسلمين أن يفتخروا بدينهم فإذا ذهب هذا الفخر لا يبقى شيء يؤكد ولاءهم لإيمانهم ويبقيهم كوجود سليم ومنفصل عن غيرهم وخاصة عندما لا يكون لإعتبارات اللون والعرق أية قيمة عندهم. فعندها يصبح إمتصاصهم في الهندوكية أمراً سهلاً وممهداً وموضوع وقت فقط.

بدا الإسلام لفترة من الوقت عاجزاً أمام هذه الطرق الذكية التي مارستها الهندوكية ضده واستمرت عملية الدمج للحضارات مدة ثلاثة قرون ووصلت ذروتها في عهد (الامبراطور أكبر)[1]. وقبل قدوم أكبر قامت الهندوكية بمحاولتين خابتا وكان القصد منهما إنعاش حكم الهنادكة في البلاد، المحاولة الأولى بقيادة (راناسانغا) والثانية بقيادة (هيمو) وأكد إخفاق هاتين المحاولتين ضرورة الاستمرار في الجهود في جعل الإسلام يتآكل من الداخل. ومن حسن حظ الهندوكية أنَّ (أكبر) كان سريع التقبل لتأثيرها وسرعان ما أصبح رمزاً للنجاح الكبير الذي حققته حركة بهكتي.

جواب الإسلام:

لم يمض وقت طويل حتى شعر الإسلام بالخطر وظهر ذلك في قيام رجال الدين أمثال مجدد الألف الثاني الذي دعا المسلمين إلى الرجوع إلى الطهارة القديمة ألا وهي الإسلام. وأخيراً استطاعت غريزة جماعة المسلمين في الحفاظ على هويتهم أن تؤكد نفسها، وتجلت هذه الغريزة بوضوح في انتصار أورنك زيب على داراشكوه. فالإمبراطور أورنك زيب هو الذي وضع حداً لانهيار الدين الإسلامي في شبه القارة الهندية وهو الذي برهن أكثر من أي شخص آخر على أن أحد أسلحة الهندوكية وأعني الامتصاص قد فشل الآن وإلى الأبد. هذا ما دفع بالهندوكية إلى تغيير طريقتها وبدأت تتحدى علناً القوة الإسلامية ووجد هذا الأسلوب الجديد تعبيراً ظاهراً في ثورة ساتناميست وتحريض الهنادكة لـ (كروتيغ بهادر)[2] لكي يشن حرباً على المسلمين باسم الهندوكية وبمجرد أن بدأ أورنك زيب يواجه هذه التهديدات سرعان ما تخلّى الهنادكة عن شيفاجي العسكري الذي شن غارات للنهب على أراضي

(١) الامبراطور أكبر كان متزوجاً من عدة نساء هندوكيات ويبدو أنه كان متأثراً بهن وقد أقام معبداً لهن في قصره كما أنه كان يجمع بين علماء مختلف الأديان للمناظرة في الشؤون الدينية وقد اشتهر عنه أنه كان مسايراً لأحدى زوجاته يصلي صلاة الهنادكة ويقوم بكل ما كانوا يفعلونه ولعله كان يفعل ذلك لتأليف قلوب الهنادكة لأنهم هم الأكثرية في البلاد.

(٢) GURO TEGH BHADUR

الإمبراطورية. وفي عام ١٦٧٤ توج شيفاجي ملكاً على العرق الهندوكي. وفي هذه المناسبة أعلن البرهميون أن هذا المنبوذ (شودر) على أنه تجسيد للإله (رام).

ان شيفاجي هذا الذي يصفه نهرو برمز الانبعاث للهندوكية والذي يستوحي إلهامه من الكلاسيكيات القديمة بأنه شجاع ويملك الصفات العالية لتولي الزعامة.

ويقول مؤرخ هندوكي إن وراء جهود شيفاجي العسكرية والسياسية تكمن أيديولوجية وهي ما تسميها العامة بمملكة الدفاع عن الآلهة وعن البرهمية.

وقد وصف شيفاجي بنفسه مهمته على أنها تأسيس حكم ذاتي هندوكي أو سلطنة هندوكية في هندوستان. ولا عجب أن ينادى (سافاركار)[١] بحركة المرتهيين لكونها من الناحية الجوهرية حركة هندوكية ودفاعاً عن الشريعة الهندوكية من أجل الإطاحة بالسيادة المحمدية[٢] الأجنبية وتهدف أيضاً إلى تأسيس إمبراطورية هندوكية مستقلة وقوية.

ليس هناك أدنى شك بأن هذه المؤامرة الهندوكية نجحت في الإسراع بالقضاء على الإمبراطورية المغولية فقد توفي أورنك زيب قبل أن يقضي على حركة المرتهيين[٣] قضاءً تاماً بل تمكن المرتهيون في الفوضى التي أعقبت وفاته من تحقيق حلمهم في تأسيس حكم هندوكي وكذلك وضعوا مطالب هامة من أجل استقلال الهند ولكن مخططاتهم جميعها أحبطت على يد أحمد شاه ابدالي الذي سدد ضربة قاضية إلى حركة المرتهيين في معركة (باني بت[٤] عام ١٧٦١.

---

(١) SAVARKAR

(٢) يستعمل الأجانب كلمة محمديين للمسلمين وهذا خطأ إذ أن المسلمين لا ينتسبون إلى محمد بل يستجيبون للرسالة التي حملها إليهم من الله ولذا فهم مسلمون.

(٣) قوم من الهنادكة كان لهم شأن كبير في مقاومة المسلمين.

(٤) PANIPAT

تدخل بريطانيا:

في هذه الأثنـاء ظهر منافس جديد للقوات الهندية على مسرح الأحداث ونعني بهم الإنكليز فبعد أن قاموا بتدعيم مركزهم بسرعة في مدراس وفي البنغال بدأوا بالاستيلاء على ما تبقى من البلدان بضربات سهلة الهضم إما عن طريق الغـزو أو الحيلة في حين أضـاع المسلمون عقوداً من الزمن في رثاء حالتهم وضياع قوتهم السياسية، بينما أخذ الهنادكة بشكل طبيعي يتكيفون بسرعة مع الوضع الجديد فيقدمون المساعدة الكاملة إلى الإنكليز ويحاولون كسب ودهم وبـالإضـافـة إلى ذلـك فإن الإنكليز الذين ما زالوا لم ينسوا الروح المسيحية للحروب الصليبية ضد المسلمين وساعدت هزيمتهم في حربهم مع أفغانستان على تدعيم كراهيتهم للمسلمين وقد كتب اللورد (النبرو)[1] الحاكم العام للهند في رسـالة وجهها إلى دوق ويلنغتون[2] في ٤ أكتوبر ١٨٤٢ يقول: (لم أكن أصـدق مدى رغبـة المسلمين بهزيمتنا في أفغانستان حتى سمعت هنا بعض الوقائع التي ثبتت أن هذا هو الشعور السائد حتى عند أولئك الذين يعتمدون علينا، وأما الهنادكة فقد كانوا يشعرون بالمسْرة لتوقعهم انتصار بريطانيا على المسلمين في أفغانستان. ويبدو لي أنه من غير المعقول حينما نكون واثقين من عداوة شخص واحد من عشرة من الناس أن نطمئن إلى دعم مخلص من قبل التسعة الباقين من العشرة الذين يكونون في واقع الأمر مخلصين لنـا. وعلى الفور عمل النبرو لكسب تأييد الهنادكة بعرض مهزلة استعادة البوابات التي زعم بأن محمود الغزنوي استولى عليها وأخذها إلى عاصمة ملكه سنة ١٠٢٦. إلا أن البوابات التي أحضرت من غزني مع عودة الجيوش البريطانية من أفغانستان لم تتقدم أكثر من مدينة آغرا. وقد كتب ياسو عن هذا الأمر يقول: (كل هذه الجلبـة حول بوابـات معبـد سومنات كانت حيلة سياسية لأنها اعتبرت ذريعة لإرضـاء الهنادكة والحقيقة أن هذه البوابات لا تمت بصلة إلى معبد سومنات وربمـا كان اللورد النبرو يعلم ذلك تماماً وبالتالي فإن الموكب العظيم الذي

---

(١) ELLENBOROVGH

(٢) WELLINGTON

عرضت فيه بوابات سومنات المزعومة في طول البلاد وعرضها كانت لغاية سياسية).

وهكذا وجد الهنادكة في الإنكليز أصدقاء لهم، ففي حين وقع المسلمون في فوضى تامة من أمرهم بسبب عداء الإنكليز والهنادكة لهم تمكن الهنادكة من تعزيز صفوفهم وبدأ التحرك نحو إقامة اتحاد هندوكي بريطاني. وسرعان ما وجد البريطانيون فرصة مناسبة في ثورة عام ١٨٥٧ للانتقام من المسلمين والعمل على إبادتهم سياسياً واقتصادياً. وهكذا تحطمت قوة المسلمين السياسية وضاعت ممتلكاتهم واحترق محصولهم وصودرت منازلهم والأسوأ من ذلك أنهم أصبحوا موضع شك دائم في نظر السلطة الحاكمة وحرموا جميعاً من الخدمات الحكومية. ومن ناحية ثانية أصبح الهنادكة موضع ثقة الإنكليز ورعايتهم. وأخذت الهندوكية وهي تنعم بالحماية البريطانية تستعد لمعركة أخرى أكثر رهبة ضد المسلمين ولكن هذه المعركة كانت هذه المرة بسلاح المفهوم الغربي[1] المستعار من الأوربيين للقومية أو بمعنى آخر أن يكونوا هم الحكام على اعتبار أنهم هم الأكثرية في البلاد.

---

(١) سعى الهنادكة والإنكليز كثيراً لكي يقيموا في البلاد حكم الأكثرية على اعتبار أن الديمقراطية تقضي بذلك ولكن الأكثرية في بلاد ذات شعب واحد أمر معقول وأما الديمقراطية الغربية لا توافق الهند ولا بعض البلاد الأخرى لأن الأمور إذا أخذت بالأكثرية فالهنادكة دوماً هم الرابحون وهكذا شأن قبرص فاليونان يريدون حكم الأكثرية أي حكمهم هم بينما هناك الشعب التركي وهو أقلية فلو طبقت الديمقراطية الأوربية على قبرص لفني الأتراك.